وَإنْ كـــانَ جِـــلْـــدي يُـــرَى أسْـــوَداً،
فَـلـي فـي الـمَـكـارِمِ عِـزٌّ وَرُتْـبَـهْ[١]
وَلَـوْ صَـلّـتِ الـعُـرْبُ، يـوْمَ الـوَغـى،
لأبْـطَـالـهـا، كـنـتُ لـلـعُـرْبِ كَـعْـبَـهْ[٢]
وَلَـوْ أنّ لـلـمَـوْتِ شَـخْـصـاً يُـرَى،
لَـرَوّعْـتُـهُ، وَلأكْـشَـرْتُ رُعْـبَـهْ[٣]

سيفي أنيسي

قال عند مبارزته روضة بن منيع السعدي، وكان قد جاء بلاده ليخطب عبلة بنت مالك:

[البسيط]

كَـمْ يُـبـعِـدُ الـدهـرُ مَـن أرْجـو أُقـارِبُـهُ،
عَـنـي، وَيَـبْـعَـثُ شَـيْـطـانـاً أُحـارِبُـهُ[٤]

(١) يعرّج الشاعر على مشكلته، المتمثلة بلون أسود، عنوان العبودية في ذلك المجتمع، ولا ريب أن بيض الفِعال تُغطّي ظلمة ذلك اللون وما تُمثله.

(٢) يلجأ الشاعر إلى مقارنة التضاد؛ فالصلاة تكون لمسبب الوجود والبقاء، ويوم الحرب ثمّة بطل من يمنع قومه ذلّ وعار الهزيمة إنه عنترة، وجدلاً صلّت الأعراب لفرسانها في الحروب لشكرهم، فلا بدّ لبني عبس أن يجعلوا عنترة كعبة يحجّون إليها ويحتمون بأركانها.

(٣) ومغالاة التحدّث حملت الشاعر على تحدّي الموت، ممّا يحمله على الخوف من مجابهة الشاعر في القتال، مخافة أن يموت الموت من هول ضرباته.

(٤) يستغرب الشاعر كيف أن الزمن يعمل على تفريق الأحبّة لاختلاف =

فَـيـا لَـهُ مـن زَمـانٍ، كُـلّـمـا انـصـرَفـتْ
صُـرُوفُـه، فـتَـكَـتْ فـيـنـا عَـوَاقـبُـهُ[١]
دَهـرٌ يـرَى الـغَـدرَ مـن إحـدى طَـبـائـعِـهِ،
فَـكَـيـفَ يـهـنـا بـهِ حُـرٌّ يُـصَـاحـبُـهُ؟[٢]
جَـرّبْـتُـهُ، وَأنـا غِـرٌّ، فَـهَـذّبَـنـي،
مِـنْ بَـعـدِ مـا شَـيّـبَـتْ رَأسـي تـجـارِبُـهُ[٣]
وَكـيـفَ أخْـشـى مِـنَ الأيّـام نـائـبَـةً،
وَالـدّهْـرُ أهْـوَنُ مـا عـنـدي نَـوَائـبُـهُ؟[٤]
كـم لَـيـلـةٍ سِـرْتُ فـي الـبَـيـداءِ مُـنـفـرِداً،
وَالـلـيْـلُ لـلـغَـرْبِ قَـدْ مـالَـتْ كَـواكـبُـهُ![٥]

= المقاييس الإنسانية، ولا يكتفي بذلك بل إنه يزيد في مكائده فيرسل شيطاناً ليحاربه به بدل أن يمنّ عليه بملاك يهواه ويتمنّى مرآه.

(١)، (٢) ويعجب الشاعر من الزمن كيف يُحارب البشر، ولا يتوقّف عن مكائده إنها تتبدّل ويتغيّر مجراها، ولكن مآلها واحد، وعواقبها وخيمة. ومن طبعه الغدر، فلا يمكن أن يحمل الخبر، لذا فالأحرار عليهم ألّا يُصاحبوه.

(٣) حاول الشاعر أن يماشي الدهر في مطلع شبابه، ولم يكن قد خبر الحياة على حقيقتها، فكانت النتيجة أن تجاربه علّمته الكثير في منعرجات العمر والحياة، والغريب في الأمر أن تلك التجارب تركت أثرها في مَفرِق الشاعر، فبدأ الشيب يغزو رأسه.

(٤) وما يدلّ على صدق إرادته وتصميم عزيمته أن الشاعر لن تُرعبه المصائب لأنه اعتاد على التصدّي لها وامتصاص ارتجاجاتها مهما اتّسعت دوائرها، فلا بدّ لها من الانحسار، لأن ذلك هيّن في نظره.

(٥) وما يدلّ على شجاعته وثقته بقوّته أنه لطالما سار منفرداً في الصحراء الموحشة، حيث لا أنيس ولا رفيق، في ليل بهيم حالك السواد، والليل ينحسر قليلاً قليلاً، =

سَيْفي أنيسي وَرُمْحي، كُلّما نَهِمتُ
أُسْدُ الدِّحالِ إلَيْها، مالَ جانبُهُ[١]
وَكَمْ غَديرٍ مَزَجْتُ الماءَ فيهِ دماً
عندَ الصّباحِ وَرَاحَ الوَحشُ طالبُهُ![٢]
يا طامعاً في هَلاكي عُدْ بلا طَمَعٍ،
وَلَا تَرِدْ كأسَ حَتفٍ أنتَ شارِبُهُ[٣]

لي النفوس

قال يتوعد النعمان بن المنذر ملك العرب ويفتخر بقومه:

[البسيط]

لا يحملُ الحِقدَ مَن تَعلو بهِ الرُّتَبُ،
وَلا ينالُ العُلا مَنْ طَبْعُهُ الغَضَبُ[٤]

= ونجومه راحت تختبئ وتتهاوى وراء شمس تشق ظلمته وتغزو أفقه.

(١) نهمت: شرهت إلى الأكل. الدحال، واحدها دَحْل: النقب مجال ضيّق بين الجبال يتّسع عند أسفله فيسهل السير فيه. في ذلك المكان الموحش المرعب يصاحب الشاعر سلاحه؛ فرمحه أنيسه ورمحه رفيقه، في ذلك الليل أسد الدحال تخرج من مكانها تبحث عن ضحيّة تُشبع بها نهمها، فبدل أن تصطاد يصطادها الشاعر فيُكثر فيها تقتيلاً ويُمعن فيها جراحاً.

(٢) ولطالما عرّج الشاعر على غدران اهتدى إليها وعرفت خطاه حيث قام بغسل سلاحه، أو اغتسل، فاختلط بدماء قتلاه فإذا بتلك الوحوش راحت تطلب سبب حياتها في تلك الغُدران.

(٣) ينصح الشاعر من تُراوده نفسه على الاقتراب منه والعمل على الفتك به بالابتعاد عنه لئلّا يقع هو فريسة حتف يشربه على يدي عنترة.

(٤) يبدأ الشاعر قصيدته بمطلع حكميّ، يصوغه من معدن الفروسية العربية الحقّة؛ =